جثسيماني

متى ٢٦: ٣٦-٤٦؛ مرقس ١٤: ٣٢-٤٢؛
لوقا ٢٢: ٣٩-٤٦؛ يوحنا ١٨: ١

«حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي ...» (متى ٢٦: ٣٦).

بقلم: هيغو مكورد

قبل أن يذهب يسوع إلى الصليب، ذهب أولاً إلى جثسيماني، إلى بستان قريب من أورشليم لكي يصلي عن الذبيحة التي سيقدمها لأجلنا. كلمة «جثسيماني» معناها «معصرة الزيت». كان هذا البستان الذي يقع عبر وادي قدرون من الناحية المقابلة لأورشليم على جبل الزيتون هو المكان الذي يصلي فيه يسوع عندما يكون في أورشليم (يوحنا ١٨: ١ و٢). ما حدث في هذا الوقت الذي قضاه هناك مثير وقيم وعظيم ولا يُقَدَّر بثمن!

وقت الصلاة! ستكون هذه الليلة طويلة وسيكون يوم الجمعة يوم آلام طويل. ترك ثمانية من رسله بالقرب من مدخل البستان وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وتوغل بهم إلي داخل البستان. ثم ترك هؤلاء الثلاثة إذ أوصاهم قائلاً: «اسهروا وصلوا» وانفرد عنهم {ليصلي وحده} (متى ٢٦: ٤١؛ مرقس ١٤: ٣٨).

لقد عرف يسوع تماماً أن ساعته قد دنت. المجاز الذي استخدمه ليشير إلى هذا الوقت هو «كأس» (أنظر متى ٢٦: ٣٩؛ مرقس ١٤: ٣٦؛ لوقا ٢٢: ٤٢). ماذا كانت تلك «الكأس»؟ لقد بدأ القتال في حرب الأبدية بين الله وإبليس. والمنتصر سيأخذ كل شيء. كان البشر هم الذين في خطر. لقد حارب يسوع وحده للتغلب على إبليس وعلى الخطيئة وعلى الموت وعلى جهنم! سيصرخ في الصليب قائلاً: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» (متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٤). (١) انه سيكون ما يكرهه الله، أي خطيئة. (٢) كان غضب الله الأبدي على وشك النزول عليه. (٣) هذه هي المرة الوحيدة منذ الأزل وإلى الأبدية التي ينفصل فيها المسيح الابن عن الله الآب. هذا منتهى الرعب! لم يرد يسوع أن يخرج من هذه الخطة الإلهيه لخلاص البشر. ولم يتكبر عندما كان إنساناً.

كان يسوع قد تنبأ قبل هذا بخيانته الوشيكة! كم شعر بخيبة أمل وألم ورفضه! سيخونه يهوذا، وينكره بطرس. ومن الرسل الاثني عشر لا يكون منهم عند الصليب إلا واحد فقط، أي يوحنا. سترفضه إسرائيل، شعب الله المختار، وتفضل عليه مجرماً (باراباس).

إذا كان يسوع يحتاج أن يصلي، فكم بالأحرى نحتاج نحن. دعى يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا ليسهروا معه – ولكنهم ناموا. ركع ثم رقد على وجهه. كلما صلى كلما تقوت طلباته لله.

الصلاة ليست ضمان بان الله يلبي جميع أمنياتنا. بل يستجيب الله لصواتنا بحسب مشيئته. أوضح يسوع بان الله هو إله المستحيلات!

القرارات الأبدية تُتَخذ عند الصلاة فقط. لا يكون هناك حل غير الحل الذي تقدمه الصلاة. كان على يسوع أن يجاهد في الصلاة لكي يخضع قلبه ليكون الذبيحة التي يطلبها الله. الصلاة التى قدمها هي أصعب صلاة على الاطلاق. كان ذلك «قدس الأقداس» في حياة المسيح. لقد قدم بعض من تعاليمه الأخيرة

بتلك الصلوات.

استجاب الله لصلاة يسوع هذه حالاً. جاء ملاكاً ليقويه (لوقا ٢٢: ٤٣). ملاكاً واحداً فقط؟ لقد أرسل الله ملاكين لمريم المجدلية وإلى النساء عند القبر الفارغ (لوقا ٢٤: ١-١٠؛ يوحنا ٢٠: ١١ و١٢). كان باستطاعة يسوع أن يطلب اثني عشر جيشاً[١] من الملائكة (متى ٢٦: ٥٣)، ولكن جاءه واحد فقط؟ لا تحل معجزة فوق الطبيعية محل مسؤولية الإنسان. ليس هناك إنسان يعرف هذه الحقيقة أكثر مما عرفها يسوع، بان «الروح نشيط {أي راغبة} أما الجسد فضعيف» (متى ٢٦: ٤١؛ مرقس ١٤: ٣٨). يمكن خلاص الإنسان الخاطيء في جسد بشري فقط. لقد عمل يسوع في إنسانيته ما لا يستطيع أي إنسان آخر أن يعمل: «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (عبرانيين ٥: ٧).

لم يكن هناك قلق عند الصلب بقدر ما كان في جثسيماني. الوقت الوحيد الذي دعى فيه يسوع الله بـ«أبا»، وهي كلمة أرامية تعادلها في العربية كلمة «بابا»، هو في بستان جثسيماني (مرقس ١٤: ٣٦). لم يختبيء يسوع في بستان الزيتون ولم يهرب ولم يقاوم ...، بل صلى.

وقت القرار! يقول المنتقدون أنه كان هناك افتقار إلى الشجاعة من جانب يسوع - وربما الجبن. ولكن هذا القول لا يوافق بكل ما هو ومن هو يسوع! لم يكن يسوع جباناً أبداً. ولم يخف من الموت ولا من الآلام. لم يطلب من الله أن يلغي الصليب. لأن هذا الصليب كان قصد الله الأبدي. كان مستعداً بصفته ابن الله القدوس أن يكون الذبيحة النهائية لخطايانا؛ ولكنه كأنسان تمنى أن تكون هناك طريقة أخرى. هذا من سر الصليب.

في بستان جثسيماني انتصر يسوع في صراعه للخضوع إلى مشيئة الله، قبل الوصول إلى جلجثة[٢].

في هذه البستان قال الله «لا» فوافق يسوع. لقد قبل يسوع الدينونة والعقاب الإلهي اللذين تستحقهما الخطيئة. قال يسوع على الصليب: «قَدْ أُكْمِلَ»، ولكن في جثسيماني قرر أن يخضع لمشيئة الله. أسلم يسوع نفسه في بستان جثسيماني وأسلم جسده على الصليب.

في الألعاب الرياضية يتم الفوز بالمباراة عند الإعداد واتخاذ القرار والالتزام. انتصر يسوع في ذلك الصراع في جثسيماني. أصنع القرار الأكبر قبل الصليب. لا تنتظر حتى تكون على الصليب لكي تقرر ماذا ستفعل.

وقت الآلام! لا بد انه كان في جثسيماني أشدة الالام مما كانت على الجمجمة لم يتألم إنساناً قط مثلما تألم يسوع في ذلك الزمان. تقول الأسفار المقدسة أكثر عن آلامه في جثسيماني مما تقوله عن آلامه على الصليب.

تحت الضخط الشديد «صَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ» (لوقا ٢٢: ٤٤). كان يقاسي الآلام إلى حد الموت. أصبح عرقه مثل قطرات دم. نادراً ما يحدث هذا (تسمى هذه الظاهرة بـ«hematidrosis» أو «hemohidrosis». لم يصلي بهذه الطريقة مرة واحدة فقط، بل ثلاث مرات! صلى قائلاً: «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ ...». صدق منتقدوه إذ قالوا «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا!» (متى ٢٧: ٤٢؛ مرقس ١٥: ٣١؛ أنظر لوقا ٢٣: ٣٥). لقد استجاب الله لصلوات يسوع، ولكنه خلصنا! لم يكن ليسوع أن يخلص نفسه ويكون مخلصنا أيضاً. لم تكن هناك طريقة أخرى غير الصليب!

ابن الله المنبوذ هذا هو محور الإيمان المسيحي. أرجو ألا تقلل من الآلام الجسدية التي تكبدها يسوع على الصليب. كان ذلك مرعباً! ولكن يشير الكتاب المقدس إلى القليل من الآلام التي كابدته. لم ينزل عرق يسوع كقطرات دم على الصليب، بل صار عرقه كقطرات دم في جثسيماني. أرسل الله ملاكاً إلى بستان جثسيماني ليقويه (لوقا ٢٢: ٤٣). ولكنه لم يرسل ملاكاً إلى الصليب.

[١] اثنتي عشر جيشاً: اثنتي عشر فيلق أو اثنتي عشر كتيبة.

[٢] جلجثة: كلمة عبرانية معناها «الجمجمة»، واسم للمكان الذي صلب فيه المسيح (راجع يوحنا ١٩: ١٧؛ لوقا ٢٣: ٣٣).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩